رسالة خاصة من ألمانيا:

ضاع شتراوس وبقى الأمل فى السلام

ربما لم يكن فرانز جوزيف شتراوس زعيم المعارضة المهزوم فى ألمانيا الغربية يؤمن كثيرا بقراءة الكف . ولكن رجال حملته الانتخابية مع ذلك وزعوا على الناخبين قاموسا للتعريف به . كان أهم ما ورد فيه أن العرافين تنبأوا لمرشحهم بأن شهر أكتوبر ١٩٨٠ سيكون هو شهر مجد انجازه .

ولأن العرافين كاذبون وان صدقوا . فقد كان هذا الشهر نفسه هو الشهر الذى ضاع فيه مستقبل شتراوس السياسى كلية .

ورغم أن السياسة تؤمن بالنسبى بل تحض عليه فإن النسبى السياسى غير النسبى الذى يمارسه العرافون والمنجمون . لذلك فإن ما خيب آمال الزعيم المغوار دائما للديمقراطيين المسيحيين فى ألمانيا الغربية ليس هو كذب العرافين أو فشله هو نفسه وسائر أنصاره فى التنبؤ بالاتجاهات الحقيقية للناخب الألمانى .

لماذا الفشل ؟

كان السبب الأقوى لذلك الفشل هو ايمان شتراوس الطاغى إلى حد العدمية معه الرؤية الواقعية بأنه هو رجل الساعة فى ألمانيا . وبعبارة أدق هو الرجل المناسب الذى يتمثل فيه اللقاء بين البطل والظرف التاريخى . فما هى المواصفات التى جعلت من شتراوس فى نظر نفسه البطل المرغود . وما هى الشروط الخطية فى ألمانيا والدول المرتبطة بها التى تتطلب من وجهة نظر شتراوس رجلا من طرازه ؟

دخل شتراوس الحياة السياسة لأول مرة عام ١٩٤٩ حيث انتخب عضوا فى البرلمان . وفى ١٩٥٣ عين وزيرا للمهام الخاصة فى الحكومة الاتحادية . وفى عام ١٩٥٥ عين وزيرا للطاقة ثم شغل منصب وزير دفاع ألمانيا الاتحادية فى الفترة من عام ١٩٥٦ الى عام ١٩٦٢ . وفى الفترة من عام ١٩٦٩ حتى عام ١٩٧٦ شغل منصب وزير [illegible] عام ١٩٧٨ ظل يشغل منصب رئيس [illegible] . ثم انتخب زعيما للحزب [illegible] لتكتل المعارضة بعد [illegible] الماضية برعامة

ويتمتع شتراوس إلى الحاج المجيء المتشدد فى الحزب الديمقراطى المسيحى . ويتحلى بروح صليبية فى معداته للشيوعية واحساسه الدائم بالخطر الماحق الذى يتهدد ألمانيا والعالم الحر بصفة عامة . ولذلك فإنه أبعد الساسة الألمان عن المهادنة والوفاق .

وأدار شتراوس حملته الانتخابية على محور واحد تقريبا هو مناهضة سياسة الانفتاح على الشرق التى تتبناها الائتلاف الحاكم منذ وصوله الى الحكم برعامة فيلى برانت المستشار السابق والتى أسفرت عن تحسن العلاقات مع السوفيت والاعتراف المتبادل وتبادل العلاقات مع جميع دول شرق أوروبا عدا فيها ألمانيا الشرقية .

واستغل شتراوس المكتسبات الطائلة التى أحرزها النفوذ السوفيتى فى العالم فى الفترة الأخيرة لكى يطلق العنان لمساوئه الخاصة . فيحذر الغرب من الوفاق ومهادنة السوفيت ويكيل الاتهامات القاسية لخاصمه الأيبق هيلموت شميت بأنه الدمية فى يد الخاتم السارى حزبه . وأن سياسته المستمرة فى انفتاحها على الشرق ستجر أعظم البلاء على ألمانيا وعلى الغرب معها . وكانت أحداث أفغانستان ثم الغزو السوفيتى لها أمر المشروع لاتخاذ موقف حاسم فى مواجهة موسكو . ولكن زعماء الغرب - يا للحسرة - تشطوا تشاطعة الثورة الأرثية .

هكذا كان شتراوس - من وجهة نظر نفسه - هو رجل الساعة الذى سيحمى ألمانيا من الخطر الشيوعى . وبذلك يحمى العالم الحر . لأن ألمانيا من الناحية السياسية والاستراتيجية هى خط الدفاع الأول عن العالم الحر فى أوروبا .

الأيبق المهذب

فى مواجهة ذلك الخصم العنيف كان يقف هيلموت شميت زعيم الائتلاف الحاكم . السياسى الذى يوصف بأنه أنيق ومهذب . وكما أدار شتراوس حملته على محور التحذير من احتمال شميت أدار شميت حملته على محور التحذير من تطرف شتراوس . فلقد اتخذ

نجح هلموت شميت فى كسب ثقة الشعب الألمانى
ليحتفظ بمقعد المستشارية لأربع سنوات أخرى

جوزيف شتراوس ▲

شميت شعارا لحملته عبارة واحدة هى : ان شتراوس رجل غير قادر على صنع السلام.

وبعد أن ذكريات الحرب المأساوية التى كانت ألمانيا ميدانها الأول لا تزال ماثلة فى أذهان الألمان فاختاروا الاعتدال وبدوا النطرف . ولم يطمع لشتراوس بحصب الألمان الجنوبيين فى بافاريا له ولا إحياؤه لذكريات عهدى تكويراد أديناور ولودفيج ايرهارد زعيمى الحزب الديمقراطى المسيحى السابقين والرجلين اللذين يرجع إليهما الفضل الأول والأخير فى بناء ألمانيا بعد الحرب.

وبالطبع كانت هناك قضايا أخرى أثيرت أثناء الحملة الانتخابية ولكن الائتلاف الحاكم الذى تسوده الروح البروتستانتية الغالبة بين الألمان (على عكس الروح الكاثوليكية السائدة بين الديمقراطيين المسيحيين) استطاع على ما يبدو إقناع الناخب الألمانى بجدارته فى معالجة قضايا البطالة والتضخم والبحث عن دور سياسى نشط فى إطار التحالف الغربى والجماعة الاقتصادية الأوربية.

وكانت كل استطلاعات الرأى العام تؤكد أن الائتلاف الحاكم المكون من الحزب الاشتراكى الديمقراطى برعاية شميت والليبرالى الحر برعاية جينشر وزير خارجيته هو الذى سيفوز . وبالرغم من ذلك فلم يكن أحد يتوقع زيادة الفارق فى عدد الأصوات فى البرلمان بين الائتلاف الحاكم والمعارضة من ١١ صوتا إلى ٤٠ صوتا . وهكذا كانت النتيجة مفاجأة قاصمة وقاسية لشتراوس الذى أجمعت المصادر كلها على أنه سيعتزل السياسة نهائيا عما قريب.

وهكذا أيضا لم تكن مفاجأة للمجتمع الأحداث الداخلية والخارجية على الصعيد الألمانى أن ينجح هيلموت شميت فى كسب ثقة الشعب الألمانى ويحتفظ بمقعد المستشارية لأربع سنوات جديدة.

فالناخب الألمانى الذى هالته وبلات الحرب عالقة بذهنه والذى نوعت أعصابه كثيرا بفعل الحرب الباردة التى دارت رحاها فى السنتات على الأرض الألمانية كان من الطبيعى أن يفضل الاعتدال على التطرف والألوان على النور والتسرع . فأهم ما كان يميز شميت على منافسه شتراوس مرشح الحزب الديمقراطى المسيحى والحزب المسيحى الاجتماعى هى صفاته الشخصية . الهدوء والأتزان وعدم الثرثرة والتمتع بقدر كبير من ضبط النفس . أما شتراوس بمهاجمته الثائرة المعتادة فقد كان انتخابه مستشارا لألمانيا مقرونا بعلامة استفهام كبيرة تحيط بمستقبل ألمانيا

وبالطبع كان لتلك الصفات الشخصية التى يتمتع بها هيلموشميت أثر كبير فى رسم السياسة الألمانية على الصعيدين الداخلى والدولى وخطوط السياسة العريضة التى وضعها شميت مع حليفه الليبرالى هانز ديتريش جنشر التى تمارها وأعلن الناخبون الألمان والعالم عليها حكمه فى أكثر من مناسبة . لذلك لم يجد شميت نفسه مضطرا للتردى فى الحرب الكلامية التى كان يحاول شتراوس أن يجره إليها.

وإذا أردنا أن نعرض كشف حساب هيلموت شميت فى السنوات التى حمل فيها عبء توجيه السياسة الألمانية فنجد أنه مشرف ويحفز أى ناخب على إعادة اختيار شميت

فعلى الصعيد الداخلى فإن ألمانيا هى أقل الدول الصناعية الكبرى فى العالم تعرضا للارتفاع فى الأسعار . كما أن حكومة شميت استطاعت أن توفر ٩٠٠ ألف مكان عمل جديد فى الثلاث السنوات الأخيرة . وبغض النظر عن اليابان فإن ألمانيا هى أقل دول العالم الصناعية معاناة من البطالة.

أما عن العلاقة بين الدولتين العظميين فألمانيا بحكم موقعها الاستراتيجى يرى شميت أنها لابد أن تربح بأية محاولة للتناحر والتقارب بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى . فعدم استمرار سياسة ازالة التوتر بين الدولتين يعنى إعطاء الأشارة لاشتداد الصراع الناخر الذى سيدمر رخاء أوربا ما بيدا عن الأرض الألمانية.

وعن العلاقة مع الشقيقة الألمانية فى الشرق فقد كان من المقرر أن يلتقى شميت بالسكرتير العام للحزب الشيوعى فى ألمانيا الشرقية أريش هونيكر ولكن هذا اللقاء أرجيء إلى ما بعد الانتخابات بعد أن حدثت بعض المتغيرات الجديدة على الصعيد الدولى . ولم يشأ شميت مطلقا أن يلعب ورقة التقارب الألمانى فى الانتخابات العامة. ولقد صرح شميت أن الحوار مع ألمانيا الشرقية يجب أن يستمر . ولبدأ مثلا بالتقارب الاقتصادى والفنى . فقى نوفمبر القادم سيقام أول مهرجان لأفلام ألمانيا الغربية فى ألمانيا الشرقية.

ومن وجهة نظر شميت نفسه نجد أن الأسباب التى أدت إلى فشل شتراوس فى الفوز إلى مقعد المستشارية هى :

١ - أنه لن يكون قادرا على تحقيق علاقة جوار طيبة مع الجيران الألمان.

٢ - أنه لا يستطيع أن يستوعب جيدا أفكار الآخرين.

٣ - لم يدرك حتى الآن أن اتفاقيات السلام يجب أن تحترم عندما تكتمى عندما ولكن.

على أن أوضح مدلول لنتيجة الانتخابات الألمانية حتى الآن هو أن الأحاديث القوالية عن التوسع السوفيتى لم تقلع حتى الآن فى تغيير مزاج المواطن فى الغرب بحيث يتحول من الرغبة فى التهدئة إلى التوجس من الخوف . لذلك نجد تساؤلا يثور فى النهاية . فهل يمكن اعتبار هذه النتيجة مؤشرا مسبقا عن النتيجة المحتملة لصراع كارتر ريجان فى انتخابات الرئاسة الأمريكية القادمة مع الأخذ فى الاعتبار الاختلافات ذات الطابع الخلى بين ألمانيا والولايات المتحدة ؟

للإجابة تقول ربما . . ولم لا . . أليس عيب كارتر الأول فى نظر ريجان هو الاعتدال إلى حد العنف فى مواجهة موسكو . وكذلك أليس عيب ريجان فى نظر كارتر هو الشدة إلى حد التطرف فى مواجهة الاتحاد السوفيتى .